تقارير ورسائل كتبها قائد جيش الإنقاذ في حرب فلسطين 1948، فوزي القاوقجي، بخط يده، ولم تُنشر حتى في مذكراته، ورسائل كثيرة تبادلها مع قادة. في ما يلي ورقتان من تلك الأوراق، نستعرض في الجزء الثاني ما تبقى منها

ذكريات النضال في العراق وفلسطين والثورة السورية الكبرى

من أوراق فوزي القاوقجي [2/2]

صقر أبو فخر

أسرى من مقاتلي الثورة السورية الكبرى بعد استطلاع قرب قرية الشيخ مسكين عام 1925 (Getty)

الورقة الثانية
حالة الثورة الحاضرة

عمان، 1927/5/10

[تقرير كتبه فوزي القاوقجي عن أحوال الثورة السورية الكبرى وقدمه إلى الزعماء السوريين المنفيين في الأردن]

«أكتب تقريري هذا الذي أعدّه في غاية الأهمية نظرًا لما تتطلبه حالة الثورة من الأعمال السريعة والإصلاح المهم، وأنا لا أعلم المرجع الذي يجب أن أقدمه إليه، ولا أدري مِن هو الذي سيقوم بتدقيقه وتنفيذ محتوياته.

إن العدو الذي تأثر التأثر الكلي من حركات الشمال الأخيرة [أي في جبل الزاوية ومحيطه]، ومن فشله في [منطقة] اللجاة، بدِل اعتقاد من اضمحلال الثورة، وأدرك أهمية مركز [منطقة] الصفا الذي كان الملجأ الوحيد لحملة الشمال بعد انسحابها، ولثوار اللجاة الذين وجدوا فيه الملجأ الأمين لعيالهم. ولقد اكتسب هذا المركز أهمية زائدة بعد قيام الجند الإنكليزي بأعماله الأخيرة في الأزرق، إذ أصبح يجمع كل ثوار الثورة تقريبًا. لذلك أخذ العدو بتجميع قوى مهمة من المقرن الشرقي [أي المنطقة الشرقية من جبل الدروز] من جهة، وبالتأثير اللازم على عرب الغياث في الصفا من جهة أخرى، مع عربان الشرقات [الشرقاط] وغيرهم الموجودين على طريق الصفا أيضًا تمهيدًا لحركات جديدة على هذا المركز لمنع عربان الغياث من نجدة الثوار، وحرمان الثوار من منابع الإعاشة عند بقية العربان. وقد أرسل الكابتن تيريه كتابًا إلى خلف النعير [زعيم عرب الغياث] يعلن فيه حضوره للرحبة مع نوري الشعلان، ويطلب منه إرسال خيل وهجن لاستقباله. ولقد أثّرتِ على خلف النعير وطلبتِ منه تأخير مجيء الكابتن تيريه مع النوري، وأثبتِ له محاذير هذه الزيارة فاقتنع. وفي صباح 1 مايو [أيار] 1927 قام العدو بحركة استكشافية في المقرن الشرقي على [مركز] الحوى بحماية سرب من الطيارات ابتدأت بقذف قنابلها الساعة 10 عربي، فصدت فرسان العدو بخسارة وأسقطت له طيارة فاشتعلت. وكان لهذا الانتصار التأثير الحسن على معنويات عربان الغياث في الرحبة، فاستثمرنا هذا التأثير وقيدناهم من جديد بمواثيق متينة. أما العدو فما زال يحشد باهتمام زائد قوى مهمة في المقرن الشرقي،ويجمع من قرى الجبل كل وسائط النقل استعدادا للهجوم على مركز الحوى قلب الصفا، بل قلب الثورة كلها حيث مركز الماء الوحيد في الصفا، ونقطة الاتصال الوحيدة بين الجنوب واللجاة والغوطة والشمال. فالعدو الذي شعر بتأثير أعمال الانكليز في الأزرق يُبدي كل اهتمام ليستفيد من فرصة وجوده في الأزرق زاعمًا أنه سيقضي على الصفا، ثم يقوم بحركات متتابعة على بقية الثوار الذين لا يبقى لهم ملجأ حينذاك، فينتهي أمر الثورة قبل تنقيص عدد جيشه في سورية، فيثبت مركز الحزب العسكري، ويُرضي بقية الأحزاب المعاكسة له في فرنسا.

«إن وجود الثوار الكثيرين في وادي حسان ووادي شبيكه [شبيكي] اللذين يبعدان أكثر من يومين عن مركز الصفا لجهة الجنوب أدى إلى بعض التضعضع في معنويات ثوار الصفا واللجاة حتى أصبح الكثير منهم يطلب الانسحاب للأزرق أو لمحل وجود هؤلاء الثوار إن لم يأتوا إلى الصفا. لذلك أرسلت لهم الكتاب الآتي راجيًا حضورهم بسرعة، وكذلك أرسل لهم، بقية زعماء الدروز، خيالة يطلبون سرعة نجدتهم.

صورة الكتاب

الصفا، 1927/5/3

«إلى حضرات إخواننا زعماء المجاهدين المرابطين في وادي الشبيكة وما جاورها».

«سلام وبعد، فإن الواجب الوطني يدعوني لإطلاعكم على الحقيقة الحاضرة في اللجاة والصفا نظرًا لحراجتها. فأرجو من كل مِن يطلع على كتابي هذا من الزعماء المحترمين الاهتمام بمحتوياته، وإطلاع جميع مِن لم يطلع عليه من المجاهدين ليكون الجميع مشتركين بالاهتمام والمسؤولية.

1- إن العدو الذي سحب ثلثي جنوده إلى الشمال على أثر حركتنا فيه، لم يتمكن من الانتصار في معارك اللجاة أوائل الشهر الماضي، ولكنه أعاد الكرّة ثانية على أثر انسحابنا من الشمال، فانسحب قسم من مجاهدي اللجاة إلى الصفا مع عيالهم، وما لبث أن عاد أكثرهم إلى اللجاة، فأخفق العدو هذه المرة أيضًا، ولم يتمكن من تنفيذ مأربه، وحالته الآن جيدة جدًا.

2- لقد أخلى العدو جميع مراكزه في الغوطة على أثر حركات الشمال، فلم يبقَ فيها سوى 150 خيالًا في قرحتا و 15 في دوما. أما بقية المراكز مثل البويضة، شبعة، جرمانة، جوبر، كفر بطنا، حرستا، برزة، حوش الأسفري، نشابية، فقد أخليت تمامًا، وقد انسحبت القوى المتمركزة داخل الشام، ولم يبقَ فيها إلا المحافظون على المستودعات، وإن قوى المخافر التي كانت خط دفاع الشام أنقصت ولم يبقَ فيها أكثر من 8 جنود. وعلى ذلك، فلولا فقدان العتاد تمامًا من الجنود التي كانت معي لكان بإمكاني القيام مع 30 مجاهدًا فقط بأعمال في الغوطة تجلب نصف قوى العدو الموجودة في الجبل، وربما تعيد مركز الغوطة إلى عهده السابق. ولا إخالكم تضيّعون هذه الفرصة النادرة التي لم يسبق لها مثيل منذ إخلاء الغوطة من الثوار، والتي يصعب، وربما يستحيل، الحصول عليها بعد مدة.

3- صباح يوم 1 أيار [مايو] 1927 أرسل العدو سربًا من الطيارات ألقت قذائفها بشدة لم تعهد من قبل على مركز الحوى في الصفا، وما لبث أن ظهرت الخيالة، فصدت بخسائر، وسقطت طيارة بعد أن احترقت، وتعطلت طيارتان. فيظهر من هذه الحادثة أن العدو أدرك أنه لا يمكن القضاء على اللجاة إلا بالقضاء على مركز الصفا. وأن هذه الحملة لم تكن إلا للاستكشاف الذي ستتبعه الحركات الجدية. ومن المعلومات التي تلقيناها من الجنود المغاربة الملتجئين إلينا، علمت أن اللواء 66 من المشاة الجزائرية قد تحرك من السويداء إلى المقرن الشرقي، وكذلك جمع [العدو] قوى من الفرسان في هذه القرى الشرقية الشمالية.

4- إن بعض عصابات اللجاة والصفا الموجودين في الحوى ابتدأوا بنقل عيالهم، وبعضهم أنفسهم، إلى الرحبة وحواليها، وهذا الأمر كدّر عربان الصفا والغيّاث وخلافهم، وربما يحدث ما لا تُحمد عقباه إذا لم يعودوا، [لأن ذلك] يجعل مركز الحوى ضعيفًا جدًا. فإذا تمكن العدو من احتلاله يصبح اللجاة في خطر، وأيضًا المرور إلى الغوطة والشمال متعذرًا، ويضطر جميع الثوار إلى الانسحاب للجنوب، فتخمد نار الثورة في هذه الجهات وشماليها.

5- يتضح لكم من الحقائق المذكورة من المواد السابقة أن مركز الصفا، وبسببه اللجاة، في خطر، ولا يمكن إزالته إلا أن تسارعوا مع جميع المجاهدين بالحضور إلى الحوى بمدة لا تزيد عن اليومين للمرابطة فيه، وتقوية معنويات عصاباته التي طرأ عليها الوهن، وتوقيف تيار انسحابهم إلى الرحبة، وتقوية معنويات عربان الصفا [الأمر] الذي يعيد ثقتهم بالثوار، ومعاونتهم الثمينة لها. وإن بقاء هذه الكتلة القومية من الثوار في وادي شبيكي هذه المدة الطويلة أثر تأثيرًا سيئًا على عصابات الصفا، وترك كثيرين منهم يفكرون بالانسحاب إليهم. وأرى أن حراجة مركز الصفا تدعوكم لسرعة إنجاده مهما كانت أعمالكم هناك عظيمة، فانسحاب الثوار من الحوى يسبب جذب العدو إليه واحتلاله، الأمر الذي يجر إلى ضياع الرحبة أيضًا، أو معادات [معاداة] الغياث إلى الثوار، وهذا كل الخطر.

> **ثورتنا قد أضاعت فرصًا ثمينة لعدم وجود مركز يدير الحركات حسب ما يطلبه الموقف العام**
>
> **الوقائع الماضية علمتنا أن الأعمال لا تُبنى على العدد بل على حسن الإدارة والترتيب واستخدام القوة على شكل يلائم حالتها الروحية**

«إن الواجب الوطني والغيرة التي دعتكم لهجر الراحة والوصول إلى هذا الجهاد للذود عن حياض هذا الوطن المقدس، ستدعوكم، ولا شك، لإجابة ندائي هذا الصادر لمصلحة الوطن وللغاية المقدسة نفسها. واقبلوا ختامًا تحيات وإخلاص أخوكم [أخيكم] الواثق بالفوز النهائي».

الإمضاء

فوزي القاوقجي

«ولما لم يحضر أحد منهم لغاية 6 مايس [أيار] 1927 ذهبت بنفسي لمواجهة القائد العام [سلطان باشا الأطرش] وإقناعه بنجدة الصفا، فوجدته في أراضي القيقس الواقعة على حدود الشرق العربي [شرق الأردن] من جهة الشمال الشرقي. ولما سألت [سئلت] عما يجب عمله، قلت لهم: حالًا أن يذهب كل الثوار إلى الصفا للمدافعة عن المركز، وأن يعطوني خمسين خيالًا لأذهب إلى الغوطة والشمال، وأنا أتعهد لهم بجذب نصف قوة العدو الموجودة بالجبل [جبل الدروز] عليّ. وقد تحرك سعيد بك العاص والأمير عز الدين [الجزائري] في 27 مايس [أيار] 1927 إلى الصفا، وكذلك حضرة القائد العام قرر الذهاب إليه. فمن الإيضاحات الآنفة الذكر، بأن الثورة الآن تحتاج أولًا لعمل سريع في جهات الشمال لتوزيع قوى العدو، وتخفيف الضغط عن مركز الصفا، وثانيًا إيجاد قوة جديدة للثورة لإثارة إحدى المناطق المستعدة لها ليستعيض قواها، وتجد متسعًا من الوقت لتنظيم شؤونها».

«إن ثورتنا قد أضاعت فرصًا ثمينة لعدم وجود مركز يدير الحركات حسب ما يطلبه الموقف العام، ولعدم وجود مرجع يدرس التقارير المتقدمة إليه من قواد المناطق، وينفذ فيها ما هو ضروري لإصلاح حالة الثورة وتحسين الوضعية. فالتقارير المتقدمة كلها كانت تحتوي على نقط جوهرية لإصلاح الثورة، وذلك بعد تجارب عديدة تكلفنا أثمانًا باهظة من مال ورجال، ومع ذلك لم تكن مواضيع التقارير [إلا] كحوادث عادية في جرائد يومية، وما كنا نرى المقام الذي يهتم بموادها ويدير الحركات حسب الاحتياج المهم، وكثيرًا ما كنا نرى معنى هذا [في] المركز في القدس أو في عمان، فكانت الأعمال فوضى لا تناسق ولا ارتباط، والفرص ضائعة والأعمال الكبيرة بلا استثمار. مثلًا كنت بيّنت في عدة تقارير أهمية مركز الصفا وتأثيره على اللجاة والغوطة والشمال. وأخيرًا كلفت بتثبيت عدد من القوة فيه وتعيين وظيفتها وجنسها وتقدير مخصصاتها، وكذلك مركز اللجاة، وكذلك مركز اللجاة، وبقية قوى الثورة الموجودة في الأردن وعمان. فلو نفذت هذه المواد لما بقيت قوى الصفا بمعزل تام عن اللجاة عندما كان العدو يهاجم بشدة وبقوى كبيرة. وكذلك لو نفذت مطالبي لما بقي الثوار بكامل تجهيزاتهم مدة طويلة بجهات مختلفة بعيدة عن ساحات القتال مكتوفة الأيدي، بالوقت الذي كانت قوى العدو مبعثرة في الشمال واللجاة والغوطة [التي] لا يوجد فيها أكثر من 150 خيالًا. فكان في الإمكان التجمع أولًا في الصفاة بصورة تدريجية كما تقرر، فيفرز مركز الصفا وينجدون اللجاة. وكانوا يستطيعون القيام بأعمال مفيدة جدًا في الغوطة ربما أدت إلى تحسين الموقف العام، وإنقاذ الثورة من ضعفها الحاضر».

«إن الوقائع الماضية علمتنا أن الأعمال لا تبنى على العدد بل على حسن الإدارة والترتيب واستخدام القوة على شكل يلائم حالتها الروحية. فالخمسون من الثوار المنظمين تأتي بنتائج أكثر من الخمسماية الضاربة فيهم الفوضى. وسعى كثير من الإخوان لتأسيس لجنة عليا أو مجلس أعلى للإشراف على شؤون الثورة كلها وتعهّد أمورها، وذلك منذ نشوب الثورة. إنما لم تنجح هذه المساعي لأسباب عديدة. وعلى ما أظن أن الأسباب الرئيسية هي الحزبية والشخصيات وعدم وضع برنامج يحدد المساعي واحترامه. لذلك لم نكد نسمع بتشكيل لجنة إلا وترى بعد قليل نفس أعضائها ناقمون عليها طالبين حلها مفكرين بتأليف غيرها، بعدما يكون سبّب تشكيل هذه اللجنة انشقاقاً عظيمًا بين الصفوف، وفسادًا أدى للتجزئة وإضاعة الوقت، ومشاغبات كبيرة، فتضيع الفرص مدة هذا التطاحن، ويمتنع كثير من الثوار عن الاشتراك في الأعمال الهامة. فأول تشكيلات من هذا القبيل فكر بتأسيس مجلس وطني في السويداء [هو] الذي دعا إليه الدكتور [عبد الرحمن] الشهبندر أعضاء من كافة المدن السورية، ولم يلبوا نداءه، وذلك لعدم ثقة المدعوين بنجاح الثورة، ومن جهة أخرى عدم وجود رجال أكفاء من منطقة السويداء، عندئذٍ لم تتم هذه التشكيلات. ثم بعد وصول الأمير عادل [أرسلان] إلى الجبل، ودعا إلى الثورة، لم تتم أي تشكيلات لعدم اتفاق الحزبين على أساس مشترك. ثم سرت الحزبية إلى صفوف الدروز فأصبح لسلطان باشا حزب، ولغفار باشا [عبد الغفار باشا الأطرش] حزب آخر، وكل منهما يطلب التصرف بالمال لحزبه. ولما اتفقت أكثرية الحزبين على تشكيل لجنة مالية وإدارية تكون من مشايخ العقل والدكتور شهبندر، وأمين صندوقها الأمير حمد [الأطرش] الذي كان همزة الوصل بين الحزبين، كذلك فشلت هذه التشكيلات من قبل الأمير حمد وتعنت عبد الغفار باشا، بالرغم من تساهل سلطان باشا وحسن نيته».

«أما تشكيلات القيادة والمجلس الوطني في الغوطة فكان سبب فشلها منحصرا في ما يلي:

أ- النزاع على السلطة العامة بين رياسة المجلس والقيادة التي سببت تفريق ثوار الغوطة عن بعضهم، وبروز النفور، وأدت إلى مشاغبات خطرة.

ب- الانتخابات التي كانت على أساس الحزبية والمحسوبية والمنطقة.

ج- عدم رعاية المواد المسنونة [أي التي جرى سنّها]، فأصبحت القيادة والمجلس مركزي تطاحن وإفساد وفوضى، لذلك انتهت بقيام الثوار ضد هذه التشكيلات وفسخها وتوحيدها بشخص واحد».

«وبعد انسحاب الثوار من الغوطة وضعف الثوار في الجبل، وأصبحت لجنة الأعمال أمام أعمال عظيمة نظرًا لتجمع الثوار في هذه المنطقة [أي الصفا]، كثرت المشاغبات وتتابعت الطلبات، ولم يعد الوقت يعمل لمصلحة الثورة [الصفحة السابعة من التقرير ناقصة. لكن من خلال المصادر المطابقة، ومنها مذكرات فوزي القاوقجي يتبين لنا، بشيء من المضاهاة، أن الصفحة الناقصة تتضمن اقتراحًا ينص على تأليف هيئة عليا للثورة، تتفرّع إلى ثلاث لجان مختصة ومستقلة: سياسية ومالية وعسكرية]. إن المعارك التي خاضها الثوار واستشهد كثيرون فيها كانت لحظات] تاريخية في حياة الثورة تميز بها الأمة من أعمال أبنائها المخلصين، فتسجل لكل منهم نوع عمله.

«أسماء الأشخاص الذين أقترح تشكيل اللجنة منهم: سعيد بك حيدر، عادل بك العظمة، حسن بك الحكيم، عجاج أفندي نويهض».

«تُقدم نسخ من هذا التقرير إلى كل من: لجنة القدس، اللجنة التنفيذية بمصر، الدكتور شهبندر، عادل بك العظمة».

قائد الغوطة والشمال

فوزي القاوقجي

ملاحظة: لم أتدخل في النص ألبتة إلا في وضع بعض الفواصل والنقاط في محلها الصحيح. وقد عمدت إلى إضافة حرف التاء إلى كلمة «اللجا» لتصبح «اللجاة» وهو الاسم الرسمي، أو إضافة الهمزة إلى كلمة «السويدا» لتصبح السويداء. أما في ما عدا ذلك فإن أي إضافة إيضاحية وُضعت بين مركِنين كبيرين على هذا النحو [...].

(كاتب عربي)

طلبات لم تنفذ

يودر القاوقجي «بيّنتُ في عدة تقارير أهمية مركز الصفا وتأثيره على اللجاة والغوطة والشمال. وأخيرًا كُلّفت بتثبيت عدد من القوة فيه وتعيين وظيفتها وجنسها وتقدير مخصصاتها، وكذلك مركز اللجاة. فلو نفذت هذه المواد لما بقيت قوى الصفا بمعزل تام عن اللجاة، ولما بقي الثوار بجهات مختلفة بعيدة عن ساحات القتال مكتوفة الأيدي، فكان في الإمكان التجمع أولًا في الصفاة. وكانوا يستطيعون القيام بأعمال مفيدة جدًا في الغوطة ربما أدت إلى تحسين الموقف العام، وإنقاذ الثورة من ضعفها الحاضر».